العلاقات المغربية الإنجليزية من (986-1065هـ/ 1578-1654م)

نـــواف فـــلاح الـــعـــمـــيـــدي

مدرس، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت

الملخص

يتناول البحث موضوع العلاقات المغربية الإنجليزية 986 – 1065هـ/ 1578 – 1654م (دراسة وثائقية). وينقسم إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة محاور وخاتمة، ثم خريطة توضيحية، وانتهاء بهوامش البحث.

وقد استعرضنا في سياق البحث طبيعة العلاقات المغربية الإنجليزية في الفترة السابقة على فترة موضوع البحث، كتمهيد لبيان المتغيرات التي طرأت على تلك العلاقات من خلال معالجتنا لها في محاور البحث الثلاثة، وقد خصصنا المحور الأول لإيضاح الدوافع التي أدت إلى تميز تلك العلاقات وازدهارها، ومنها ما كان يتعلق بالصراع المذهبي بين إنجلترا زعيمة المذهب البروتستانتي وأسبانيا زعيمة المذهب الكاثوليكي، فضلاً عن تميز المغرب بموقعها الجغرافي والاستراتيجي، بالإضافة إلى قيمتها الاقتصادية المتمثلة في ثرواتها العديدة ولاسيما مادة نترات البوتاسيوم (ملح البارود)؛ نظراً لاحتياج إنجلترا الدائم لها في صنع المدافع حتى تتمكن من مواجهة أي هجوم من الأسبان وغيرهم.

أما المحور الثاني فقد تناولنا فيه أشكال العلاقات المغربية الإنجليزية، التي لم تقتصر على العلاقات الاقتصادية فحسب بل اصطبغت بالصبغة السياسية التي بلغت حد التمثيل الدبلوماسي بين البلدين، كما كانت هناك محاولات جادة من أحد حكام المغرب لعقد تحالف سياسي مع إنجلترا لغزو أسبانيا تارة وغزو الهند تارة أخرى.

وعن المحور الثالث فقد ناقشنا فيه كيفية تعامل إنجلترا مع تدهور الأوضاع الداخلية بالمغرب على أثر الصراعات التي قامت بين أبناء المنصور بعد وفاته وما نتج عن ذلك من ظهور قوى محلية جديدة وانفصال بعض المدن الساحلية عن السلطة الشرعية، وممارسة قادتها للجهاد البحري. وعليه، فقد كان على إنجلترا ممارسة سياسة متعددة الأوجه في سير علاقاتها بالمغرب.

المقدمة

شهد القرن السادس عشر الميلادي منذ مطلعه وجود علاقات مباشرة بين إنجلترا والمغرب الأقصى ولاسيما مع تلك الأسرة الناشئة بجنوب المغرب، وهي أسرة الأشراف السعديين.

وعليه، فقد تم اختيارنا لموضوع البحث تحت عنوان "العلاقات المغربية الإنجليزية من 986 – 1065هـ/ 1578 – 1654م: دراسة وثائقية"، ولأهمية الأحداث التي دارت في تلك المنطقة الحيوية في القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر الميلاديين فقد تناولت دراسات ومصادر عديدة هذه الفترة شديدة الأهمية، وألقت الضوء على قدرة حاكم عربي مثل أحمد المنصور، مكنته من احتلال مكانة متميزة ومرموقة، ومن ثم جعلته هدفاً لتسابق إنجلترا لكسب وده.

وقد حاولت إيضاح الجوانب التي ارتكزت عليها العلاقات المغربية الإنجليزية في وقت تميز بالصراعات والمنافسات العالمية في منطقة حيوية شملت الحوض الغربي من البحر المتوسط والمحيط الأطلسي مروراً بمضيق جبل طارق، ولاسيما أن المكتبة العربية تفتقر إلى وجود كتابات وافية حول تلك الصراعات والمنافسات وما ترتب عليها من نتائج مختلفة.

أما عن المنهج الذي اتبعناه في معالجة موضوع البحث؛ فقد اعتمد على الاستقراء والتحليل، وهو بمثابة منهج عرضي، وقد تم وضع الحواشي في نهاية الموضوع، ونقطة البداية في موضوع البحث – وهي عام 986هـ 1578م – تتعلق بدخول العلاقات المغربية الإنجليزية في مرحلة الاستقرار والازدهار.

ونقطة النهاية في عام 1065هـ/ 1654م تتعلق بضعف سيطرة أسرة الأشراف السعديين على مقاليد الأمور في المغرب وانعكاس ذلك على استمرارية العلاقات على المستوى نفسه.

إذا كان الصراع بين هنري الثامن (ملك إنجلترا) قائد المعسكر البروتستانتي وأتباع المعسكر الكاثوليكي يعدّ بمثابة نقطة انطلاق للدخول في علاقات مع العالم الإسلامي، خصوصاً مع الشريف السعدي محمد بن

عبدالرحمن وولديه أحمد الأعرج ومحمد الشيخ، كان أيضاً للصراع الناشئ بين الحكام السعديين الأوائل ضد البرتغاليين والأسبان من جهة، وضد الوطاسيين من جهة أخرى أبلغ الأثر في التقاء الأهداف، والرغبة في المزيد من التعاون، خاصة فيما يتعلق بالتبادل التجاري بين البلدين[1].

وقد أسهم في إثراء التبادل التجاري بين الإنجليز والمغاربة تمكن الشريف السعدي محمد الشيخ من تحرير ميناء سانتا كروز (أغادير) من السيطرة البرتغالية[2].

كما كان لتصدير السلاح من إنجلترا إلى المغرب دور كبير في تثبيت أقدام السعديين في الحكم؛ حيث استطاع محمد الشيخ السعدي أن يلحق بالوطاسيين هزائم متتابعة في الداخل، كما تمكن من تحقيق انتصارات متتالية على البرتغاليين[3].

وقد بذل البرتغاليون جهوداً مضنية لوقف تلك التجارة؛ حيث قاموا بفرض حصار بحري محكم على المواني المغربية، ووجهوا ضربات قوية إلى السفن الإنجليزية، ومع ذلك استمر الإنجليز في تصدير الأسلحة إلى المغرب لما لتلك السلعة من أثر بالغ على انتعاش الاقتصاد الإنجليزي[4]. وقد اضطر الملك البرتغالي للجوء إلى المفاوضات لوقف تلك السلعة، ولكن المحاولات جميعها كان مآلها إلى الفشل[5].

وبوفاة هنري الثامن (ملك إنجلترا) في عام 1547م ومن بعده محمد الشيخ السعدي في عام 964هـ/ 1556م وتولية أبي عبد الله الغالب حكم المغرب وإليزابيث الأولى حكم إنجلترا دخلت العلاقات المغربية الإنجليزية في عهدهما منعطفاً جديداً[6]. وقد اختلفت الروايات التاريخية في الحكم على طبيعة العلاقات بين الاثنين؛ فالبعض أشار إلى تعرض تلك العلاقات لفترة ركود لمدة تزيد على عشر سنوات تقريباً تضاءل - خلالها - النشاط التجاري بين المغرب وإنجلترا[7]؛ بسبب القرار الذي اتخذته ملكة إنجلترا بعدم السماح لجميع قباطنة السفن المغربية بتفريغ بضاعتهم في المواني الإنجليزية، إلا إذا كانوا مسيحيين

مع حظر تصدير الأسلحة إلى المغرب؛ نظراً للضغوط البرتغالية المتعلقة بحظر تجارة الأسلحة والحد من نشاط التجار الإنجليز بالمواني المغربية[8].

والفريق الآخر من المؤرخين ذهب إلى دحض تلك المزاعم؛ حيث ذكروا أن العلاقات المغربية الإنجليزية منذ أوائل حكم الملكة إليزابيث الأولى وأبي عبد الله الغالب – خاصة في المجال التجاري – قد شهدت نشاطاً ملحوظاً منذ عام 969هـ/ 1561م عندما حاول الإنجليز الحصول على امتياز يتعلق بموافقة أبي عبد الله الغالب على منح الإنجليز حق الرسو في أي ميناء مغربي والتحكم فيه، ولاسيما ميناء القصر الصغير، الذي سبق أن حاول الفرنسيون الدخول في مفاوضات للحصول على ذلك الامتياز[9].

واستندوا في ذلك إلى وفود بعثة إنجليزية كبيرة إلى المغرب بتكليف من ملكة إنجلترا، بحوزتها كميات ضخمة من الأسلحة والعتاد الحربي بمختلف أنواعها: دفاعية وهجومية، وذلك في عام 970هـ/ 1562م[10].

ومن الراجح لدينا تعرض العلاقة بين المغرب وإنجلترا لفترة من الركود لخشية أبي عبد الله الغالب من تعرض بلاده لهجوم العثمانيين، ولعل لاحتدام الصراع بين إنجلترا وأسبانيا من جديد وتحرش دون سباستيان البرتغالي بالسواحل المغربية دوراً كبيراً في محاولة أبي عبد الله كسب ود ملكة إنجلترا لتزويده بالعتاد الحربي.

وقد ذكر أحد المؤرخين أن أبا عبد الله الغالب قد سمح لأول تاجر إنجليزي يدعى جون وليامز باستيراد كمية ضخمة من ملح البارود "نترات البوتاسيوم" الذي يستخدم في صناعة المدافع، من المغرب إلى إنجلترا، وذلك في عام 980هـ/ 1572م[11].

وعلى الرغم من قصر مدة حكم الحاكم السعدي محمد المتوكل فإن تلك الفترة شهدت نشاطاً ملحوظاً للتبادل التجاري بين إنجلترا والمغرب[12].

وبحسب ما أورد المؤرخ الشهير هنري دي كاستري فإن هذا النشاط التجاري لم يتأثر مطلقاً على الرغم من المحاولات البرتغالية وكذلك الأسبانية لعرقلته[13].

عوامل ازدهار العلاقات المغربية الإنجليزية

يتبين مما سبق أنه على الرغم من طول فترة التمهيد التي استغرقت ثلاثة أرباع القرن السادس عشر تقريباً/ العاشر الهجري - لم يشبها أي تطور سوى كونها علاقات اقتصادية على عكس ما ستكون في المحور الثاني الذي سنتعرض - من خلال أحداثه - للمتغيرات والتطورات التي طرأت على طبيعة العلاقات المغربية الإنجليزية، وقبل أن نتناول ذلك المحور بوضوح رأينا أن نفرد المحور الأول لمعالجة العوامل - التي بموجبها - قامت تلك المتغيرات.

ويمكن حصر تلك العوامل في ثلاثة عوامل رئيسية:

أحدها: يتعلق بالأحداث الدولية التي دارت في تلك الفترة بالعالمين الأوروبي والإسلامي على السواء؛ حيث استعرت جذوة الحروب الدينية في كثير من البلاد الأوروبية بين أنصار المذهبين الكاثوليكي والبروتستانتي[14].

ولقد أشعلت تلك الحروب أذهان معظم ملوك أوروبا وأمرائها الذين اختلفت اتجاهاتهم وتباينت، كما تعددت أهدافهم التي طالما سعوا إلى تحقيقها؛ فمنهم من خاض غمار الحرب رغبة في تحقيق سيطرة أكبر، هادفاً إلى توحيد العالم الأوروبي تحت قيادته، فالملك الأسباني فيليب الثاني نجح في بسط نفوذه على الأراضي المنخفضة (هولندا وبلجيكا)، كما ضم إليه التاج البرتغالي[15]. ومن بين ملوك أوروبا وأمرائها مَنْ كان يسعى للتخلص من سيطرة الحكم الأجنبي مثل فرنسا التي قاومت الاحتلال الإنجليزي، كما تصدت لمحاولات فيليب الثاني الذي كان يعمل على احتلال فرنسا[16]، وملوك فرنسا الذين حاولوا بسط نفوذهم على إيطاليا[17]، وقد قادت إنجلترا المعسكر البروتستانتي، وسخّرت جميع إمكاناتها لعرقلة تحقيق فيليب الثاني لأطماعه التوسعية، من أجل ذلك كانت مجبرة على تقديم كل العون والمساعدة للبلاد المنخفضة في أثناء مقاومتها للحكم الأسباني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى دخلت إنجلترا في حلبة الصراع والمنافسة مع الأسبان، بهدف تضييق الخناق على أسبانيا والعمل على تقلص نفوذها وكسر شوكتها[18].

والذي دفعني إلى اعتبار الحروب الدينية من عوامل ازدهار العلاقات المغربية الإنجليزية أن قرب المغرب الأقصى من أسبانيا جغرافياً واستراتيجياً دفع إنجلترا إلى تقوية صلاتها بالمغرب؛ كي يتسنى لها تضييق الخناق على أسبانيا.

ويتمثل العامل الثاني الذي كان له أكبر الأثر على سير العلاقات المغربية الإنجليزية في ذلك النصر الحاسم الذي أحرزه الشريف السعدي عبد الملك على الملك البرتغالي دون سباستيان وابن أخيه محمد المتوكل في جمادى الآخرة 986هـ/ أغسطس 1578م[19].

وقد حاول عبد الملك استخدام الأسلوب الدبلوماسي تجنباً لحدوث تلك المواجهة[20]. غير أن دون سباستيان قابل تلك المحاولات بالرفض[21].

ومما لا شك فيه أنه كان لانتصار المغاربة في معركة وادي المخازن انعكاسات مؤثرة على طبيعة علاقات المغرب مع إنجلترا على الصعيدين السياسي والاقتصادي؛ فعلى الصعيد السياسي أصبح لبلاد المغرب الأقصى مكانة متميزة لدى الأوروبيين عموماً وإنجلترا خصوصاً[22].

أما على الصعيد الاقتصادي فإنه نظراً لاكتساب المغرب لتلك المكانة السياسية المتميزة حرصت إنجلترا على الدخول في علاقات ودية وعقد اتفاقات تجارية تمخض عنها زيادة صادرات المغرب، وقد أسهمت تلك الحركة التجارية في ازدهار الاقتصاد المغربي[23]، ولاسيما بعد زوال مملكة البرتغال وما ترتب على ذلك من رفع الحصار البرتغالي الطويل للسواحل المغربية، ومن أبرز انعكاسات انتصار المغاربة في موقعة وادي المخازن ظهور دورهم في الصراعات الأوروبية؛ إذ أدركت إنجلترا تزايد الخطر الأسباني عقب ضم فيليب الثاني لمملكة البرتغال إلى التاج الأسباني؛ مما كان له أبلغ الأثر في تقوية العلاقات المغربية الإنجليزية؛ حيث اعتبرت إنجلترا وحليفاتها أن الأراضي المغربية من أهم ميادين الصراع ضد الأسبان.

أما العامل الثالث من عوامل ازدهار العلاقات المغربية الإنجليزية فينحصر في توسع أحمد المنصور جنوباً حتى شمال بلاد السودان الغربي[24]؛ مما عاد

عليه بمنافع وفوائد جمة أدت إلى تدعيم مكانته السياسية والاقتصادية داخلياً وخارجياً؛ حيث تمكن من كسب ود ملكة إنجلترا التي رأت فيه الممول الوحيد لتنفيذ مشروعاتها الخاصة، وتضييق الخناق على الأسبان من جهة والنهوض بالاقتصاد الإنجليزي من جهة أخرى.

ولقد أدرك الشريف السعدي أحمد المنصور جلياً البعد السياسي والاقتصادي من جراء فرض هيمنته على بلاد السودان الغربي انطلاقاً من ذلك التسابق الأوروبي والعثماني للسيطرة على تلك المنطقة بغرض استغلال ما فيها من ثروات ضخمة، فقد وضع في اعتباره قطع الطريق على العثمانيين والأوروبيين لبسط نفوذهم على تلك المنطقة؛ نظراً لما يشكله ذلك النفوذ من تهديد مباشر للمغرب من ناحية الجنوب.

وبالفعل نجح المنصور في بسط نفوذه على بلاد السودان الغربي وإخضاعه لتبعيته، وكان هذا من أهم العوامل التي ساعدت على تميز العلاقات المغربية الإنجليزية في الفترة الممتدة بين عامي 986هـ / 1578م و 1012هـ / 1603م، وهي السنة التي توفي فيها أحمد المنصور؛ حيث استطاع من خلال ما استحوذ عليه من ثروات ضخمة من العبيد والذهب والعاج والتوابل أن يحقق انتعاشاً كبيراً للاقتصاد المغربي، كما استغل تلك الثروات في بناء جيش قوي مزود بأحدث الأسلحة، وأسطول بحري ضخم تمكن به من منافسة الأوروبيين في ارتياد البحار والمحيطات، وقد أدى ذلك كله إلى تكالب الدول الأوروبية على كسب وده والاستفادة من الثروات التي تحت يده؛ نظراً لتلك الحروب الدينية التي استهلكت جل طاقاتهم وإمكاناتهم. كما استطاع المنصور أن يرغم أوروبا – وبخاصة إنجلترا – على النظر إليه على أنه قوة لا يستهان بها؛ بحيث يتمكن من أن يكون عنصراً فعالاً ومؤثراً قوياً في حل القضايا الأوروبية، كما سيتضح ذلك جلياً في المحور الثاني من محاور البحث.

أثر عوامل الازدهار على تميز العلاقات المغربية الإنجليزية في الفترة الممتدة بين 986 - 1012هـ/ 1578 - 1603م

بعد استعراض بعض العوامل التي لها أكبر الأثر على سير العلاقات المغربية الإنجليزية، وميزت تلك العلاقات عن الفترة السابقة لها والفترة اللاحقة عليها؛ يجدر بنا الإشارة إلى أثر تلك العوامل على طبيعة هذه العلاقات من خلال التعرض للجوانب المهمة التي ارتكزت عليها أحداث تلك الفترة.

وقد شملت تلك الجوانب جميع مناحي الحياة ولاسيما الناحية الاقتصادية والسياسية معاً؛ ففي أثناء الفترة التي قضاها أبو مروان عبد الملك الملقب بالمعتصم مع أخيه في اسطنبول قبل نجاحه في استعادة الحكم من ابن أخيه محمد المتوكل استطاع أن يتعرف من قرب الظروف الدولية، التي تتحكم في سير العلاقات بين العالمين الإسلامي والأوروبي؛ حيث استطاع أن يُكوِّن صداقات شخصية بارزة ومسؤولة في اسطنبول مختلفاً بعضها عن بعض، منها شخصيات إنجليزية وفرنسية، وكذلك علاقاته بأسرة جسباروكورسو وآخرين؛ كل هذا جعله يدرك تماماً الدوافع الحقيقية التي تتحرك من خلالها كل بلد من تلك البلاد في رسم علاقتها الخارجية[25].

ولقد تجلت حنكة عبد الملك من خلال معرفته بالظروف الدولية الاقتصادية والسياسية، وكيفية الربط بين الاقتصاد المغربي والاقتصاد الإنجليزي؛ حيث ابتاع نحو أربعمائة طن من الثياب الإنجليزية؛ تلك السلع المهمة التي غمرت الأسواق المغربية، حتى إن أسعارها أخذت في التناقص[26]، ولعل الجديد في ذلك يكمن في إجراء عدة تعديلات على طبيعة تلك الثياب انطلاقاً من تشجيعه المستمر لارتداء الملابس العثمانية التي كانت إنجلترا تجيد صناعتها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك تطوراً مهماً في علاقات عبد الملك مع إنجلترا، يكمن في منح ملكة إنجلترا حق استخدام الأراضي المغربية لنقل السلع الإنجليزية منها عبر الولايات العثمانية إلى اسطنبول، هذا الطريق الذي أثرى

النشاط التجاري الإنجليزي، وذلك على اعتبار قِصَر ذلك الطريق المؤدي إلى اسطنبول، وقد يقلل من التكاليف والمشقة التي كان يعانيها التجار الإنجليز في أثناء رحلتهم إلى الآستانة عندما كانوا ينقلون بضاعاتهم عبر إيطاليا وألمانيا[27].

لم يكتف عبد الملك بالسماح لهم بعبور الأراضي المغربية فحسب بل وعد ملكة إنجلترا أيضاً بالكتابة إلى باشا الجزائر وجميع الحكام الذين سيمر التجار الإنجليز عبر أراضيهم إلى اسطنبول، يوصيهم بعدم التعرض لهم بأي أذى أو تهديد، والعمل على سلامة وصولهم وتأمينهم من أي خطر يتهددهم[28].

غير أن الأمر - في حقيقته - لم ينصب كلياً على النهوض بالعلاقات المغربية الإنجليزية في جانبها الاقتصادي بل تعداه إلى حدوث قفزة كبيرة في النهوض بالجانب السياسي بين البلدين؛ بحيث أصبح لا يقل أهمية عن الجانب الاقتصادي؛ ومن الدوافع التي أسهمت في تقوية ذلك الجانب التقاء عبد الملك وملكة إنجلترا في عدائهما الشديد للأسبان والبرتغاليين[29].

ومن تلك الوجهة يمكن التكهن بدور إنجلترا الذي لا يمكن تجاهله في تحقيق عبد الملك وأخيه أحمد المنصور لانتصار حاسم على البرتغال في معركة وادي المخازن عام 986هـ/ 1578م، وكذلك ربما يمتد ذلك الدور ليمثل العامل الرئيس في نجاح أحمد المنصور فرض سيطرته على بلاد السودان الغربي.

ولقد دخلت العلاقات المغربية الإنجليزية منعطفاً جديداً، تمثل في رفع أدموند هوجان تقريره إلى إليزابيث الأولى، وأهمية ذلك التقرير تكمن في بيان مدى الفائدة التي تعود على إنجلترا من تقوية أواصر الصداقة بعبد الملك؛ فقد احتوى التقرير على أهمية المغرب لكونه سوقاً تجارياً رائجاً للمنتجات الإنجليزية، كما أوضح تكدس الأسلحة بالخزائن في إنجلترا وأنه في حالة شراء عبد الملك للأسلحة من أي بلد آخر سيعود ذلك على إنجلترا بخسائر فادحة، كما ألقى الضوء على أهمية تجارة السكر بالنسبة للاقتصاد الإنجليزي[30].

تمثل رد فعل ملكة إنجلترا على تلك الجهود في تكليف أدموند هوجان على رأس وفد كبير بالتوجه إلى المغرب الأقصى حاملاً رسالة من ملكة إنجلترا إلى عبد الملك، تم تحريرها في صفر عام 985هـ/ أبريل 1577م؛ وبالفعل غادر

أدموند هوجان في 17 من صفر/ 6 مايو من العام نفسه ووصل إلى ميناء صافي (أسفي) المغربي في 21 مايو؛ حيث أحسن عبد الملك استقباله واستمرت مدة إقامته بالمغرب قرابة الشهرين[31]. وما من شك أنه كان لرحلة أدموند هوجان إلى المغرب بعد سياسي هادف لا يمكن تجاهله في العلاقات المغربية الإنجليزية؛ فقد اعتبر إبراهيم حركات أن وصول أدموند هوجان إلى المغرب كان بمثابة أول تمثيل إنجليزي دبلوماسي في البلاد المغربية، وكان ذلك في عام 985هـ / 1577م[32]؛ حيث ورد ذلك صراحة في مذكرته التي رفعها إلى ملكة إنجلترا بعد عودته إلى لندن في جمادى الآخرة عام 986هـ/ أغسطس 1578م[33].

وأياً ما كان الأمر فقد أصبحت علاقات عبد الملك مع إنجلترا أكثر تأصلاً لارتكازها على قواعد مكتملة الجوانب؛ حيث اتخذت العلاقات شكلاً متكاملاً ببعديها السياسي والاقتصادي، ولم يكتف عبد الملك بما منحه لمبعوث الملكة أدموند هوجان، بل كتب خطاباً إليها حمله السفير الإنجليزي عند عودته إلى لندن، وقد حرر الخطاب بتاريخ 23 ربيع الآخر 985هـ / 10 يوليو 1577م وأخبرها فيه بجميع التسهيلات التي منحها للتجار الإنجليز وباستعداده الدائم لتلبية رغباتها[34].

وعلى ما يظهر، فإن العلاقات بين شبه جزيرة أيبيريا وإنجلترا قد تدهورت إلى حد كبير؛ الأمر الذي حمل ملكة إنجلترا على تدعيم علاقاتها بالمغرب أكثر وأكثر، ففي سبتمبر من العام نفسه وصلت رسالة من ملكة إنجلترا إلى عبد الملك تتضمن رغبة ملكة إنجلترا في عقد اتفاق؛ وبعبارة أدق تحالف سياسي، لكنها اشترطت أن يكون غير معلن[35] حتى لا يستغله البرتغاليون والأسبان، فيروجوا أن ملكة إنجلترا تتحالف مع بلد مسلم ضد المسيحيين، وقد يثير ذلك الخبر الرأي العام في أوروبا والرأي العام داخل إنجلترا أيضاً[36].

وبوفاة عبد الملك تولى أخوه أحمد المنصور حكم المغرب، وفي عهده دخلت العلاقات المغربية الإنجليزية مرحلة متميزة عن الفترات السابقة واللاحقة، وبلغت ذروتها؛ إذ شملت جميع النواحي الاقتصادية والعسكرية

والسياسية والحضارية، حتى وصل الأمر إلى استحواذ بعض الشخصيات الإنجليزية على ثقة المنصور، وقام بتعيينهم في الوظائف المهمة والحساسة في المملكة، ومعظم هؤلاء كانوا - بجانب وظائفهم الرفيعة التي يتقلدونها - يمارسون أعمالاً خاصة بالتجارة، ومن تلك الوظائف - على سبيل المثال لا الحصر - ما يتعلق بالاقتصاد؛ حيث كانوا يعملون كمحاسبين ومراقبين بالجمارك، ومنها ما يتعلق بالوظائف السياسية؛ إذ كان المنصور يرسلهم كمبعوثين للتفاوض في أمور سياسية مع السلطان العثماني أو الملك الأسباني وكذلك ملكة إنجلترا[37]، وقد تمكنت إليزابيث من تحقيق مكاسب سياسية كبيرة؛ حيث استطاعت أن تعتمد على هؤلاء الأشخاص أنفسهم كمفاوضين باعتبارهم ممثلين عن الملكة، ولاسيما في القضايا التي من شأنها أن تحدث توتراً في العلاقات المغربية الإنجليزية، مستندة في ذلك إلى تلك الحظوة الكبيرة والمكانة الرفيعة التي يتمتع بها هؤلاء عند أحمد المنصور لطول فترة إقامتهم بالمغرب، فتكون قد تكونت لديهم مهارة فائقة وقدرة كبيرة على إقناع أحمد المنصور بما هو في صالح إنجلترا.

ومن مظاهر ودية العلاقات المغربية الإنجليزية في عهد أحمد المنصور السعدي تلك المراسلات المتبادلة بين البلدين التي تحمل في طياتها رغبات جادة في التعاون والاستعداد لتلبية مطالب إليزابيث الأولى (ملكة إنجلترا)[38].

وقد أثار هذا السيل المنهمر من الخطابات من هنا وهناك في تلك الفترة الوجيزة التي لم تتعد ثلاث سنوات دهشة المهتمين بمجال العلاقات الدولية، فلعل الهدف كان أكبر بكثير من مجرد محاولات المنصور وإليزابيث الأولى تأكيد استمرار الود بينهما، والحدث الذي يزيل الغموض لتوضيح النية الحقيقية لملكة إنجلترا من جراء هذه الجهود المبذولة، ويحول دون الدهشة والغرابة من تصرفات تلك الملكة يتجلى في عام 990هـ/ 1582م عندما أرسلت إلى المنصور تعلمه باستعدادها التام وقدرتها الأكيدة على حمايته من أي خطر يتهدده في الغرب أو الشرق، حتى من أي تمرد يقوم ضده في الداخل[39]. إذاً، هناك أمر أكبر من تأكيد صلات الود والمحبة بين البلدين؛ ففي تلك الفترة كان الملك

الأسباني يسعى ويخطط لإحياء حلم أجداده في السيطرة على مدينة العرائش؛ مما حمله على استخدام كل الأساليب المتاحة لديه عن طريق المفاوضة والسلم تارة، والضغط والتهديد تارة أخرى؛ حيث إنه لوح للمنصور باستعداده لتشجيع الناصر بن أبي عبد الله الغالب والشيخ ابن محمد المتوكل والعمل على زعزعة الاستقرار داخل المغرب[40]. وبدهي أن تسارع ملكة إنجلترا بالإعلان عن استعدادها لحماية أحمد المنصور خشية أن يستجيب لهذه الممارسات الأسبانية، ومما يؤكد صحة عدم اكتفاء إليزابيث الأولى بإقناع أحمد المنصور بالصمود أمام تلك المحاولات الأسبانية أنها لجأت إلى السلطان العثماني مراد الثالث مستغلة حسن علاقاتها به من جهة ومدى إمكانية السلطان في الضغط على المنصور للحيلولة دون تسليمه مدينة العرائش للأسبان من جهة أخرى، وبالفعل جاء مبعوث السلطان إلى المغرب في الخامس من المحرم 992هـ/ 18 من يناير 1584م من أجل هذه الغاية[41]. ولقد حصل المنصور على قدر كبير من الاستفادة تعدى مجال الحرب والسياسة إلى المجال العمراني؛ حيث تم العثور على وثيقة تلقي الضوء على اهتمام رئيس البلاد الملكي ويلسنجهام نفسه بتنفيذ ما طلبه من كميات كبيرة من الجرانيت، فقد قام بتكليف أحد مبعوثيه إلى أيرلندا لجلب الكمية التي طلبها المنصور، وكان ذلك في ربيع الآخر 992هـ/ أبريل 1584م[42].

ويمكننا إلقاء الضوء على حقيقة مهمة، مفادها حصول ملكة إنجلترا على مكاسب اقتصادية وسياسية بعلاقاتها مع المغرب أكثر مما كان يحصل عليه أحمد المنصور السعدي، وذلك عندما منح إنجلترا امتيازاً لم يسبق لها أن حصلت عليه، يتمثل في إعطائها حق استخراج "نترات الماغنسيوم" من تارودانت[43].

- الشركة البربرية

ومن المكاسب الاقتصادية لملكة إنجلترا تمكنها من تأسيس شركة تجارية إنجليزية بالمغرب، وأهمية ذلك تكمن في كون إنجلترا أول بلد أوروبي سعى

لإنشاء شركة تجارية من هذا النوع حيث لم تقتصر أسباب نشأتها وأهدافها على الجوانب الاقتصادية فحسب بل تعدت ذلك لتشمل المجال السياسي أيضاً.

أدركت ملكة إنجلترا أهمية تقوية الوشائج مع المغرب كما أدرك تلك الحقيقة عدد غفير من التجار الإنجليز؛ الأمر الذي عاد على المغرب -بلا شك- بفوائد جمة ولاسيما إمكانية الحصول على العتاد الحربي الخاص بالجيش والأسطول وكانت هناك محاولات عدة بذلها البرتغاليون والأسبان من قبل لتحجيم ذلك النشاط، إلا أن زوال مملكة البرتغال أتاح الفرصة لزيادة حجم التجارة الإنجليزية وتنوعها بعد رفع جزء كبير من القيود وزوال الخطر البرتغالي، ومما لا شك فيه أن هذا الأمر أزعج كثيراً بعض التجار الإنجليز الذين لهم باع طويلة في هذا المجال وباعتبارهم مقربين إلى الملكة؛ فقد مارسوا بعض الضغوط عليها لإحياء فكرة إنشاء شركة تجارية ينطوي تحت لوائها عدد معين من التجار لمدة محدودة كي تتيح الفرصة لأكبر عدد من الإنجليز للاستفادة من مزاولة التجارة في المغرب[44]، وأبرز الشخصيات التي لها بصمات واضحة في تأسيس تلك الشركة بعد إقناع ملكة إنجلترا: "إيرل أوف ليستر Arel of Leicester"[45] وأخوه "إيرل أوف وارويك" Arel of Werwek".

ومما يوضح دور هاتين الشخصيتين ومدى قربهما من الملكة تلك الرسالة التي بعثت بها إلى أحمد المنصور تشكر له فيها حسن استقباله للتجار الذين بعث بهم "إيرل أوف ليستر" في ربيع الآخر 993هـ/ أبريل 1585م[46].

ويتضح من ذلك وجود دافع آخر قوي لتأسيس الشركة التجارية، يتمثل في رغبة ملكة إنجلترا في السيطرة على السلع التي يتم تصديرها إلى المغرب خاصة السلاح والأخشاب ولاسيما أنها من أكثر السلع التي تدر ربحاً كبيراً، ويشمل ذلك الدافع تجنب ملكة إنجلترا الآثار الناجمة عن تقوية الجيش والأسطول المغربي، كما سعت ملكة إنجلترا لاحتكار التجارة مع المغرب والتحكم في الصادرات والواردات وتحديد الأسعار، خاصة تجارة السكر[47]، وقد أدرك المنصور أهداف ملكة إنجلترا من هذه الشركة؛ فعمل على إفشالها

وعدم تجديد الامتياز الخاص بها بعد عام 1006هـ/ 1597م؛ حيث كان تجديد الامتياز الخاص بها اثني عشر عاماً[48].

وتجدر الإشارة هنا إلى أثر دور دون أنطونيو – المطالب بعرش البرتغال – في سير العلاقات المغربية الإنجليزية، وقد عد ذلك بمثابة طور جديد في تلك العلاقات، وذلك بين عامي 997 – 1004 هـ / 1588 – 1595م، تلك السنة التي توفي فيها دون أنطونيو، وقد رغب المنصور في استغلال الصراع الدولي الذي يعد سمة هذه الحقبة التاريخية[49].

أما عن دوافع ملكة إنجلترا في تبني قضية دون أنطونيو فيرجع أهمها إلى نجاح فيليب الثاني في ضم البرتغال إليه، ومن ثم يقوي ساعده؛ مما يتيح له الفرصة لتحقيق انتصارات أكبر في أوروبا، ومن تلك الوجهة رغبة إليزابيث الأولى في اشتراك المغرب معها مستغلة قربه من هذه المنطقة وازدهار اقتصاده؛ مما يكون من اليسير على الشريف السعدي أحمد المنصور أن يقدم الدعم المالي لدون أنطونيو كي يتمكن من استعادة حكم البرتغال.

ولعل انتصار إنجلترا على أسبانيا في موقعة الأرمادا عام 996هـ/ 1588م وما نتج عنه من تحطيم الأسطول الأسباني – يكون له أكبر الأثر في ضرورة إيضاح أحمد المنصور لموقفه من قضية دون أنطونيو على أثر هذا العداء القديم بين المغرب وشبه جزيرة أيبيريا، وكي يضمن المنصور أيضاً كسب الدولة المنتصرة إلى جانبه، وقد يسهم ذلك في تثبيت أقدامه في الداخل والخارج[50].

افتتح المنصور سلسلة الخطابات إلى ملكة إنجلترا ودون أنطونيو في جمادى الآخرة عام 996هـ/ أبريل 1588م، فأرسل رسالة إلى دون أنطونيو[51] ورسالة أخرى إلى إليزابيث الأولى في غرة جمادى الآخرة عام 996هـ/ 28 من أبريل 1588م[52]، ومضمون الرسالتين ينحصر في استعداد المنصور لتقديم الدعم المالي لإعداد الحملة الإنجليزية لاستعادة البرتغال من التاج الأسباني كما حدد المبلغ الذي سيسهم به، وقدره أربعمائة ألف جنيه إنجليزي، ولكنه وضع شرطاً واحداً هو أن يقوم بدفع ذلك المبلغ مقابل الاحتفاظ بدون كريستوف ابن دون أنطونيو كرهينة عنده[53]. وفي رسالة من ملكة إنجلترا إلى المنصور في 12 من

رمضان عام 996هـ/ 5 أغسطس 1588م شكرت له موافقته على ذلك الدعم وأعلمته بموافقتها على طلبه[54].

وكان وصول دون كريستوفر إلى المغرب، ومنح المنصور له جوازاً رسمياً ينتقل به عبر المدن المغربية قد غير الموقف تماماً؛ حيث دخل الأسبان في مفاوضات سرية معه، وأخذت الملكة إليزابيث الأولى تراقب الموقف عن كثب، وأمسك المنصور بزمام الأمور، وقد أسهم وجود دون كريستوف في المغرب إسهاماً فعالاً في تشجيع المنصور على تبني مشروعه التوسعي في بلاد السودان الغربي.

وقد أرسل أحمد المنصور في صفر 996هـ/ يناير 1588م بسفيره مرزوق رايس إلى الملكة إليزابيث يعلن لها عن استعداده لتلبية مطلبها المتلخص في مساعدة دون أنطونيو، مقترحاً عليها تحرك أسطولها نحو جبل طارق على أن يزودها بالتموين اللازم حتى يتم استرجاع المملكة المغتصبة[55].

وفي مطلع عام 997هـ/ 1589م وصل المبعوث المغربي مرزوق رايس إلى لندن للتفاوض حول كيفية مساعدة المنصور لدون أنطونيو.

وقد أجابت الملكة بتاريخ ربيع الأول 997هـ/ فبراير 1589م مع سفيرها إدوارد براين برسالة تشكر اهتمام الملك المغربي وإرساله للسفير مرزوق، مخولة سفيرها إبرام اتفاق يهدف لإرجاع دون أنطونيو لعرشه[56].

وعلى ما يظهر أن إليزابيث الأولى كانت قلقة من جراء الدخول في حلف كهذا وبتلك الشروط، ودليل ذلك يتأكد في رسالة لها إلى المنصور تخبره فيها بأنها في حاجة إلى الجنود المغاربة بل هي في حاجة إلى الأندلسيين[57]. كما قامت بتكليف أحد الإنجليز المقيمين بالمغرب – ويدعى "هنري برانل Henri Brannell " – التفاوض مع المنصور حول هذا الموضوع[58].

وعلى الرغم من موافقة إليزابيث الأولى على غزو أسبانيا فقد أبدى المنصور استعداده للتعاون معها والاستجابة لمطالبها فيما يتعلق بالمشروع

الخاص بغزو الهند، وقد أشار بيانيل إلى أن المنصور قام بتجهيز المبلغ كاملاً وطلب من الملكة إرسال سفينة حربية سراً لتسلمه[59].

ولكن التقرير المحرر في 23 من شعبان عام 1009هـ/ 27 من فبراير عام 1601م ورد فيه ما يفيد بأن المنصور يريد أن يتفاوض مع مبعوث إنجليزي ترسل به إليزابيث الأولى إلى المغرب لاستكمال المفاوضات الخاصة بنصيب المغرب عند نجاح هذا المشروع[60].

لم تستجب إليزابيث الأولى لطلب المنصور بإرسال مبعوث إنجليزي للتفاوض معه بل اكتفت باستمرار هنري برانل في استكمال المفاوضات، وقد أبلغه بأن الملكة توافق على أن يدفع المنصور مائة ألف جنيه إنجليزي على سبيل الاقتراض وليس على سبيل المساهمة[61]؛ مما يدل على عدم رغبة إليزابيث الأولى في منح المنصور أية امتيازات خاصة بمشروع غزو الهند، وأمام تعثر المفاوضات لم يتم إحراز أي تقدم، بل عادت العلاقات إلى الركود مرة أخرى.

يتضح مما سبق أن العلاقات المغربية الإنجليزية بلغت أوج ازدهارها على اعتبار أنها اتخذت أشكالاً وأطواراً مختلفة اقتصادياً وسياسياً، غير أن الجدير بالملاحظة أن ملكة إنجلترا لم يكن لديها الرغبة الكاملة في مساعدة أحمد المنصور بالوصول في علاقته معها إلى سقفها؛ وفي الوقت نفسه سعت حثيثاً للحصول على أكبر قدر ممكن من المكاسب من حيث الاستفادة من خيرات المغرب وثرواته وتدعيم وجودها فيه لقرب موقعه الجغرافي من أسبانيا.

العلاقات المغربية الإنجليزية في فترة انهيار الأسرة السعدية "1013-1050هـ/ 1604- 1640م"

منذ وفاة المنصور 1012هـ/ 1603م – وهي السنة التي توفيت فيها إليزابيث الأولى ملكة إنجلترا – اتخذت العلاقات المغربية الإنجليزية منحى جديداً؛ حيث إن الإطار الذي تحكم في طبيعة تلك العلاقات قد شابه نوع من التغير؛ فبدلاً من وجود حاكم مغربي قوي يسيطر على مجرى الأحداث في الداخل

والخارج، عاشت بلاد المغرب الأقصى بعد وفاة المنصور – مدة تزيد على نصف قرن – لم يعد لهذا الحكم السيطرة والنفوذ، كما كان في السابق.

وما إن عادت الأوضاع الداخلية إلى الاستقرار النسبي بعد نجاح زيدان في الاستئثار بالسلطة عام 1018هـ/ 1609م حتى شهدت العلاقات المغربية الإنجليزية تقدماً محدوداً نتيجة لعودة استمرار المراسلات بين زيدان وجيمس الأول، وأولى تلك المراسلات كانت من مراكش في ربيع الأول 1018هـ/ 21 من يوليه 1609م بغرض إضفاء الود على سير علاقاته مع جيمس الأول، موضحاً في تلك الرسالة حرصه على منح التجار الإنجليز الامتيازات نفسها التي حصلوا عليها في السابق، إلا أنه من الراجح اختلاف نية زيدان عن الواقع؛ حيث تعرض التجار الإنجليز لمضايقات مستمرة في الثغور المغربية، وذلك للاضطرابات التي كانت تعانيها البلاد؛ الأمر الذي دفع جيمس الأول إلى إرسال مبعوث إنجليزي وهو "جون هاريسون John Harison" في صفر 1019هـ/ مايو 1610م حاملاً رسالة إلى زيدان، تتضمن نوعيات تلك المضايقات التي كان يتعرض لها التجار الإنجليز وقتئذ، وعاد المبعوث الإنجليزي إلى جيمس الأول ومعه رسالة من زيدان يدحض فيها هذه المزاعم، كما يثبت فيها تعرض التجار الإنجليز لبعض المضايقات نتيجة سوء تصرفاتهم ومحاولاتهم لاستغلال عدم استقرار الأحوال بالمغرب في تهريب الذهب إلى إنجلترا، وحررت تلك الرسالة بمراكش في 2 محرم 1020هـ/ 17 مارس 1611م[62].

جدير بالذكر أنه كان لسياسة إنجلترا بالمغرب أثر فعال في تعرض العلاقات المغربية الإنجليزية لانتكاسات متلاحقة، وكان ذلك نتيجة لتطبيق إنجلترا لسياسة ذات وجهين تقضي بمحاولاتها للاحتفاظ بعلاقات الود مع زيدان في الوقت نفسه الذي تحاول فيه الاحتفاظ بالمجاهدين البحريين على الرغم من تمردهم على الإنجليز[63].

على أية حال توفي زيدان في عام 1037هـ/ 1627م والأوضاع في المغرب تسير من سيئ إلى أسوأ، ويأتي الإنجليز أكثر تحكماً في توجيه علاقاتهم مع المغرب، فكل ما كان يشغلهم العمل على الحد من نشاط المجاهدين البحريين

وإطلاق سراح أسراهم. وعندما تولى عبد الملك بن زيدان حكم المغرب رغب في العودة بعلاقاته مع إنجلترا إلى سابق عهدها، وعلى الراجح أنه أدرك أهمية تلك الخطوة في تخلي الإنجليز عن تدعيمهم لقادة المدن الساحلية شبه المستقلة عن السلطة الشرعية بمراكش، وعلى ذلك بادر بإرسال وفد مغربي بقيادة أحمد باشا بن عبد الله إلى شارل الأول ملك إنجلترا لإضفاء صفة الود على تلك العلاقات، وقد حمل الوفد معه رسالة بتاريخ أول رجب عام 1036هـ/ 7 من مارس 1627م[64].

ويمكننا الحكم على تلك الخطوة أنها لم تلق قبولاً في الأوساط السياسية الإنجليزية؛ حيث إن المؤرخين لم يشيروا في كتاباتهم إلى وجود أي رد فعل على تلك السفارة التي بعث بها عبد الملك إلى إنجلترا، بل إن البعض أشار إلى أن استمرار المراسلات بين شارل الأول والزعماء المحليين المنشقين على السلطة الحاكمة بمراكش، ومن ذلك رسالة بعث بها شارل الأول إلى أحد المجاهدين، ويدعى علي بن محمد، للتفاوض حول إطلاق سراح الأسرى الإنجليز مقابل الإفراج عن الأسرى المسلمين في عام 1040هـ/ 1630م[65].

لم تتجاوز فترة حكم عبد الملك بن زيدان أربع سنوات تقريباً، انتهت باغتياله وتولى أخوه الوليد حكم المغرب، وعلى الرغم من قصر فترة حكم الوليد التي لم تزد على خمس سنوات تقريباً إلا أن العلاقات المغربية الإنجليزية تعرضت لبعض المتغيرات إن لم تكن جوهرية، فهي - على الأقل - أدت إلى تنشيطها[66]. والذي حملنا على الحكم بمحدودية تلك المتغيرات أنها لم تحرز تقدماً يستحق الذكر، اللهم ممارسة السفن التابعة للسلطة الشرعية بمراكش لحركة الجهاد البحري وما ترتب على ذلك من وقوع عدد من الأسرى الإنجليز تحت سيطرة الشريف السعدي؛ مما دفع شارل الأول لإرسال مبعوث إنجليزي يدعى "جون هاريسون" حاملاً رسالة إلى الوليد في 19 من ذي الحجة 1041هـ/ 19 من يوليو 1631م، يطلب منه إطلاق سراح الأسرى الإنجليز. وقد انتهز هاريسون الفرصة لعقد اتفاقية سلام مع الوليد في 21 من ربيع الآخر 1041هـ/ 16

من نوفمبر من العام نفسه، واستمرت حتى شهر رجب عام 1041هـ/ فبراير 1632، وذلك لرفض شارل الأول التصديق عليها[67].

ويبدو لنا أن رفض شارل الأول للتصديق على المعاهدة، يرجع إلى ما يحصل عليه من أموال طائلة مقابل توريد الأسلحة إلى المجاهدين البحريين والزعماء المحليين المتمردين على حكم الأشراف السعديين، ومما جعلنا نميل لترجيح ذلك الرأي تلك الرسالة التي بعث بها الوليد في السابع من جمادى الآخرة عام 1041هـ/ 31 من ديسمبر 1631م إلى شارل الأول يطلب منه عدم التعاون مع أعدائه[68]. ويؤكد ذلك أيضاً استمرار الوليد في الاحتفاظ بالأسرى الإنجليز؛ مما حمل شارل الأول على إرسال وفد إنجليزي بقيادة "جورج تيرنون George Ternon" للتفاوض حول إطلاق سراح هؤلاء الأسرى، ورسالة الوليد إلى ملك إنجلترا رداً على تلك البعثة يطلب منه مجدداً وقف التعامل مع الخارجين عليه، وذلك بين أوائل وأواخر 1044هـ/ 7 من يوليو و 24 من أغسطس 1634م[69].

وعلى الرغم من اهتمام المجلس الملكي في إنجلترا برسالة الوليد واستجابة ملك إنجلترا لطلباته فإن ملك إنجلترا كان على دراية بحقيقة الأوضاع بالمغرب؛ إذ إنه كان يسير في علاقاته مع المغرب في اتجاهين متوازيين؛ ففي الوقت الذي كان يحاول فيه إرضاء الملك السعدي كان يتابع مجريات الأحداث في ثغور المغرب الشمالية والجنوبية مستخدماً سياسة الود تارة والمواجهة الحربية تارة أخرى[70]. وكان يشجع - دائماً وأبداً - على تعميق هوة الخلافات بين قادة المدن الساحلية الخارجة على حكم الملك السعدي[71].

وليس أدل على تردي الأوضاع السياسية للمغرب من نهاية حكم الوليد ومن بعده محمد الشيخ الأصفر بالاغتيال على الرغم من أن الأخير حاول - بجدية - إعادة العلاقات مع إنجلترا السياسية والاقتصادية ومنح الإنجليز امتياز استخراج وتصدير نترات البوتاسيوم (ملح البارود) والسماح بالتمثيل الدبلوماسي لإنجلترا بالمغرب، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً[72].

ومن العوامل التي أسهمت في انقطاع العلاقات الإنجليزية المغربية خوض

إنجلترا لحرب السنوات السبع مع أسبانيا التي استمرت من 1066 – 1073هـ/ 1656 – 1663م[73]، وانتهت إلى احتلال إنجلترا لمدينة طنجة، وبذلك انتهى حكم أسرة السعديين، وقد تزامن ذلك مع ظهور أسرة جديدة هي الأسرة الحسينية أو أسرة الأشراف العلويين.

الخاتمة

لعل أهم ما يمكن القيام به في خاتمة هذا البحث هو إبراز أهم النتائج التي تم التوصل إليها فيما يختص بالعلاقات المغربية الإنجليزية (986 – 1065هـ/ 1578 – 1654م)، وتقييم شامل لتلك العلاقات في ضوء ما كشفت عنه محاوره الثلاثة، من خلال ما تم معالجته في تلك المحاور على النحو التالي:

1 – نظراً لتولي أسرة الأشراف السعديين حكم المغرب الأقصى على غير تخطيط مسبق مع وجود عوامل أسهمت في تمهيد الطريق أمامهم لبسط هيمنتهم على المغرب، رأينا من خلال معالجتنا لموضوع البحث عدم وجود منطلقات واضحة استند إليها هؤلاء الحكام خاصة فيما يتعلق بتوجيه علاقاتهم الخارجية؛ الأمر الذي ترتب عليه سهولة تأثرهم بالتوجهات الخارجية الناتجة من المتغيرات التي طرأت على الصعيد العالمي منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر حتى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلاديين، خصوصاً في منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط؛ مما حملنا على التماس بعض العذر لهم في عدم تحقيق قدر كبير من النجاح في توجيه علاقاتهم الخارجية مع القوتين الإسلامية والأوروبية على السواء؛ الأمر الذي أدى في النهاية إلى سقوط أسرتهم وانهيارها.

2 – من خلال ما سبق عرضه عن طبيعة علاقات إنجلترا تجاه المغرب الأقصى من حيث اختلاف دوافعها في توجيه هذه العلاقات أمكننا التوصل إلى أن أهم هذه الدوافع هو الاختلافات المذهبية في أوروبا ولاسيما بين إنجلترا التي كانت تدين بالمذهب البروتستانتي وأسبانيا التي كانت تدين بالمذهب

الكاثوليكي، وقد عدَّ ذلك الاختلاف منطلقاً أساسياً لتأكيد علاقتها بالمغرب، وهو ما أدى إلى زيادة العداء بين المغرب وأسبانيا؛ مما أسهم في حصول إنجلترا على مكاسب اقتصادية وسياسية، فضلاً عن ممارسة التجار الإنجليز لمهام دبلوماسية أيضاً مكنتهم من تعرف الأوضاع الداخلية بالمغرب. وقد ساعدهم على القيام بتلك المهام حصولهم على مناصب حساسة، تمثلت في كونهم مستشارين لمعظم الحكام السعديين وأيضاً كمراقبين ومحاسبين في الموانئ، ويمكننا القول: إن ما حصل عليه الإنجليز من مكاسب أكثر بكثير مما حصل عليه الحكام المغاربة من جراء هذه العلاقة.

3 - ومن النتائج التي توصلنا إليها من خلال معالجتنا لموضوع البحث عدم اقتصار العلاقات المغربية الإنجليزية على المجال السياسي والاقتصادي فحسب بل تعدى ذلك إلى استفادة المغرب في المجال الحضاري؛ إذ تمكن بعض الحكام المغاربة من جلب الخبراء الإنجليز في مجال الزراعة والصناعة والعمارة؛ مما أدى إلى تحقيق نهضة حضارية بالمغرب في ذلك الوقت.

4 - ومن النتائج التي يمكن التوصل إليها من ثنايا هذا البحث أن القدر الكبير الذي منحه الحكام المغاربة من الامتيازات للإنجليز كان من أهم العوامل التي أسهمت في إيغار صدر الأهالي المغاربة على حكم الأشراف السعديين مما جعلنا نرجح أن ذلك كان من أهم الأسباب التي أدت في النهاية إلى سقوط حكم هذه الأسرة وانهيارها.

الهوامش والمراجع

(1) - de Chavrebire, Coissac: **Histoire du Maroc**, Paris, Payot, 1932, p. 283.

(2) - Histoire du Maroc, p. 290.; Dozy, R., **"Histoire de Musulmans d'Espagne"**, Luden, 1932, p. 167.

(3) الغنيمي، عبد الفتاح مقلد: **موسوعة المغرب العربي، دراسة في تاريخ المغرب الإسلامي**، المجلد الثالث، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1994، ص 312- 313.؛ العقاد، صلاح:

المغرب العربي (تونس - الجزائر - المغرب الأقصى)، ط3، القاهرة: مطبعة الأنجلو المصرية، 1969، ص 312- 313.

(4) ابن تاويت، محمد: "وثائق سعدية لم تنشر"، **مجلة تطوان**، عدد 3 - 4، 1958 - 1959، ص 50.؛ المنصوري، عثمان: "انعكاسات الاحتلال البرتغالي على الأوضاع الاقتصادية بمغرب القرن ال 16 دراسات في تاريخ المغرب"، **حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة الحسن الثاني، عدد 7، 1990، ص 157.

(5) ابن تاويت، محمد: "من زوايا التاريخ المغربي"، **مجلة تطوان**، منشورات الجامعة المغربية، كلية الآداب، معهد مولاي الحسن للأبحاث المغربية الأندلسية، عدد 6، 1961، ص 11.

(6) حركات، إبراهيم: **المغرب عبر التاريخ**، ط3، ج2، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1993، ص 256.؛

- Terrasse, Henri: **Histoire du Maroc des Origines à L'établissement du Protectorat Français** , 2 volumes, t. II, Copyright Atlantides Casablanca, 1949, p. 182.;
- Julien, Andre: **Histoire de LAfrique du Nord**. Tunisie, Alger, Maroc de la Conquête Arabe à nos Jours en 1930 , Paris, deuxième édition, Payot, 1952, pp. 209- 210.

(7) الجمل، شوقي عطا الله: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب)**، ط1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1977، ص 174.

(8) حركات، إبراهيم: السياسة والمجتمع في العصر السعدي، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1987، ص 161؛ ابن زوايا التاريخ المغربي، ص 115.

(9) - de Castries, Henri: **Les Sources Inédites de lHistoire du Maroc, (Angleterre)**, sr. 1, 3 volumes, Paris, Londres, 1918, 1925, 1935, t.1, pp. 27-32, 39- 40. (Lettrede Nicholas throckmorton à w, Cacil, Paris, 29 juin 1561).; Essahali, Larbi: **Le Mémorial du Maroc**, 8 volumes, Paris, 1982, vol. 3, p. 227.

(10) - Lebel, Roland: Le Maroc chez les Auteurs Anglais du XVIe au XIXe siècle , pp. 8 - 9.; Lebel, Roland: '' Le Maroc dans les relations des voyageurs Anglais aux XVIe, XVIIe XIIIe siècles , p. 271.

(11) - Abun - Nasr, Jamil: **A History of the Maghrib**, London, Cambridge University press, 1971, p. 214.

(12) الجمل، شوقي عطا الله: "العلاقات الإنجليزية - المغربية في النصف الثاني من القرن السادس عشر والأول من القرن السابع عشر في ضوء وثائق مكتبة المتحف البريطاني بلندن"، **مجلة المناهل**، العدد 3، يونيو 1975 ص 160.

(13) - S.I.H.M, (Angleterre) pp. 105- 106, n.1.; t. 1, pp. 144 - 145, 292, n.1.; t. 1 pp. 186- 187.

(14) - Clio, Henri see et Rebillon, Armand: **Le XVI e Siècle**, Paris, 1950, p. 92.

(15) - Zeller, Gaston: **Hisoire des Relations Internationales des Temps Modernes**, Paris, 1953, t.III, p. 75.; Clio, op.cit., p. 208.

(16) الشناوي، عبد العزيز محمد: **أوروبا في مطلع العصور الحديثة**، ط3، ج1، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1977، ص 289 -286، 334 -327.

(17) عمر، عمر عبد العزيز: **دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1988، ص 78.

(18) كريم، عبد الكريم: "عصر المولى أحمد المنصور الذهبي"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، يناير، 1969، ص 126.

(19) الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج5، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1955، ج، ص 83، 84.

- Hamet, Ismael: **Histoire du Maghreb**, paris, Ernest Leroux, 1923, pp. 295 - 296, Mercier, E: **Histoire de l'Afrique Septentriontale Berberie Depuis les Temps les plus Regules Jusque la Conquete Francaise 1830**, Paris, 1888, pp. 122 - 124.

(20) - de la Veronne, Chantal: **S.I.H.M., (Espagne) t**. III, Paris, Paul Geuthener, 1961, pp. 302-306.

(21) حسن، إبراهيم شحاتة: **وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب 986هـ/ 1578م، قراءة تاريخية عبر علاقات المغرب الدولية بالقرن السادس عشر الميلادي**، الدار البيضاء: الشركة الجديدة، دار الثقافة، 1979، ص 210.

(22) - A History of the Maghrib, pp. 210- 211.

(23) - Histoire du Maroc des Origines à L'établissement du Protectorat Français, pp. 189-190.

(24) كريم، عبد الكريم: **المغرب في عهد الدولة السعدية: دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية**، الرباط، دار الأمان، 1977، ص 145 – 146.

(25) من زوايا التاريخ المغربي، ص 142.

(26) من زوايا التاريخ المغربي، ص142.

(27) - S.I.H.M, (Angleterre), t.1, p. 199.

(28) هذا النص مأخوذ من: من زوايا التاريخ المغربي، ص 154 - 147.

(29) - Essahali, Larbi: **Le Mémorial du Maroc**, pp. 163- 165.; Lebel, R.: Le Maroc chez Les auteurs Anglais du XVIe au XIXe Siècle, pp. 8 - 9.

(30) هذا النص مأخوذ من: من زوايا التاريخ المغربي، ص 139 – 143.

(31) - S.I.H.M, (Angleterre), t.1, p. 350.; Histoire du Maroc des Origines à L'établissement du Protectorat Français 186.

(32) السياسة والمجتمع في العصر السعدي، ص 162.

(33) هذا النص مأخوذ من: من زوايا التاريخ المغربي؛ ص 147 – 154. ؛

- Masson, Paul: **Histoire des établissements et du Commerce Francais dans L'Afrique Barbaresque 1560-1793**. Paris: Librairie Hachette, 1909, p. 65.

- S.I.H.M, (Angleterre), t.1, pp. 236- 238. (34)
(lettre de Moulay Abd- El Malek à Elisabeth, 10 Juillet 1577).

- S.I.H.M, (Angleterre), t.1, pp. 255 - 256 (Lettre de Elithabeth a Moulay Abd- El Malek, 2 Septembre 1577). (35)

(36) العقاد، صلاح: **المغرب العربي (تونس – الجزائر – المغرب الأقصى)**، ط3، القاهرة: مطبعة الأنجلو المصرية، 1969، ص 62.

- Le Mémorial du Maroc, p. 198. (37)

(38) ابن تاويت، محمد: "وثائق سعدية لم تنشر"، **مجلة تطوان**، عدد 3 – 4، 1958 – 1959، ص 54 – 55. ؛

- S.I.H.M, (Angleterre), t.1, p. 335 (lettre de Moulay Ahmed El - Mansour à Elisabeth).

- S.I.H.M, (Angleterre), t.1, pp. 518-519. (39)

- Pianel, George: " Le Maroc à la recherché d'une conquéte: L'Espane ou les indes" **Héspéris**, Trimestres 3-4, 1953, p. 511. (40)

- Histoire du Maroc, pp. 337- 339. (41)

- Histoire du Maroc, p. 319. (42)

- A History of the Maghrib, pp. 214-215. (43)

(44) المغرب عبر التاريخ، ص 311. العلاقات الإنجليزية المغربية في النصف الثاني من القرن السادس عشر والأول من القرن 17م، ص 160.

- Histoire de LAfrique du Nord., pp. 216-217.

- Histoire des établissements et du Commerce Francais dans LAfrique Barbaresque 1560-1793, p. 65. (45)

(46) التازي، عبد الهادي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، المجلد 8، المغرب: مطابع فضالة المحمدية، ،1988، ص 193.

(47) رزق، يونان لبيب: **تاريخ العلاقات الإنجليزية – المغربية حتى عام 1900**، الدار البيضاء: دار الثقافة، د. ت، ص 45.

- S.I.H.M., (Angleterre) t.I, p. 524 compte de la maison J'Elisabeth, aout 1589. S.I.H.M., (Angleterre), pp. 525-526 (Memoire de Marchands, 28 août 1589).

- S.I.H.M., (Angleterre) t.I, pp. 418-421, 455-457. (48)

(49) المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ص 181 – 184؛ المغرب في عهد الدولة السعدية، ص 134. ؛ كنون، عبد الله: **رسائل سعدية**، تطوان: دار الطباعة المغربية، 1954، ص 160.

(50) - S.I.H.M, (France), t. II, pp. 151 - 156 (Lettre de la reine Elisabeth à Moulay Ahmed El - Mansour), London, 5 a out 1588).

(51) تم العثور على تلك الرسالة ضمن مجموع رسائل مخطوط ك 278، الخزانة العامة، الرباط، ص 189 – 190.

(52) - S.I.H.M, (Angleterre) t. I, pp. 492- 494 (Lettre de Moulay Ahmed El - Mansour à Don Antonio, Merrakech, 29 Mars - 28 Avril 1588), S.I.H.M (Angleterre)., pp. 498- 499 (Lettre de Moulay Ahmed El - Mansour à Elisabeth, Merrakech, djceumade 1 er 996, 29 Mars - 28 Avril 1588).

(53) - S.I.H.M, (pays - Bas), sr. I, 6 volumes, Paris, Ernest Leroux, 1906, 1907, 1912, 1913, 1920, 1923, t.1, pp. 3 - 8, 9-14.

(54) - S.I.H.M, (France), t.II, pp. 151- 156 (Lettre de la reine Elisabeth à Moulay Ahmed El - Mansour), London, 5 a Août 1588.

(55) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ص 194.

(56) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ص 195.

(57) - S.I.H.M, (Angleterre), t. 1, p. 527 (Moulay Ahmed et Lexpédition de Drake en Portugal).; S.I.H.M. (Angleterre), pp. 528-529 (Relation anonyme, Londres, 30 Août 1589); S. I. H. M. (France), E. II, pp. 151174, 181, 190, 198-201.

(58) وثائق سعدية لم تنشر، ص 55 – 57.

(59) - Colin, G. S: **Not Sur le Système Cryptographique d Ahmed El - Mansour**' Héspéris, 2e Trim. 1927, pp. 225- 226.

(60) - Le Maroc à La recherche d'une Conquéte L'Espagne ou les indies, p. 518.

(61) المغرب في عهد الدولة السعدية، ص 217. ؛

- Le Maroc à La recherche d'une Conquéte L'Espagne ou les indies, p. 516.

(62) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ص 205؛

- Le Maroc à La recherche d'une Conquéte L'Espagne ou les indies, p. 516.

(63) - S.I.H.M, (Angleterre), p. 200 (Mémoire de Philippe Henyman, Londres, octobre 1600).

(64) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ص 206؛

- Le Maroc à La recherche d'une Conquéte L'Espagne ou les indies, p. 516.

(65) المغرب في عهد الدولة السعدية، ص 216؛

- Le Maroc à La recherche d'une Conquéte L'Espagne ou les indies, p. 516.

(66) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ص 208، 209.

(67) القدوري، عبد المجيد: "الوثائق المغربية والوثائق الأجنبية"، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 45 – 46 (يونيو 1978)، ص 67.

- Histoire du Maghreb, p. 312; Histoire de LAfrique du Nord, p. 223.

(68) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ص 212.

(69) الجمل، شوقي عطا الله: "محمد العياشي وجهاده ضد الأسبان والبرتغال"، **المجلة التاريخية المصرية**، عدد 23، 1976، ص 177.

(70) وثائق سعدية لم تنشر ، ص 57 – 58.

(71) المغرب عبر التاريخ، ص 312. ؛ محمد العياشي وجهاده ضد الأسبان، ص 177.

(72) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ص 213.

(73) نص هذه الرسالة مأخوذ من مجلة تطوان، العددان 3، 4، ص 57.

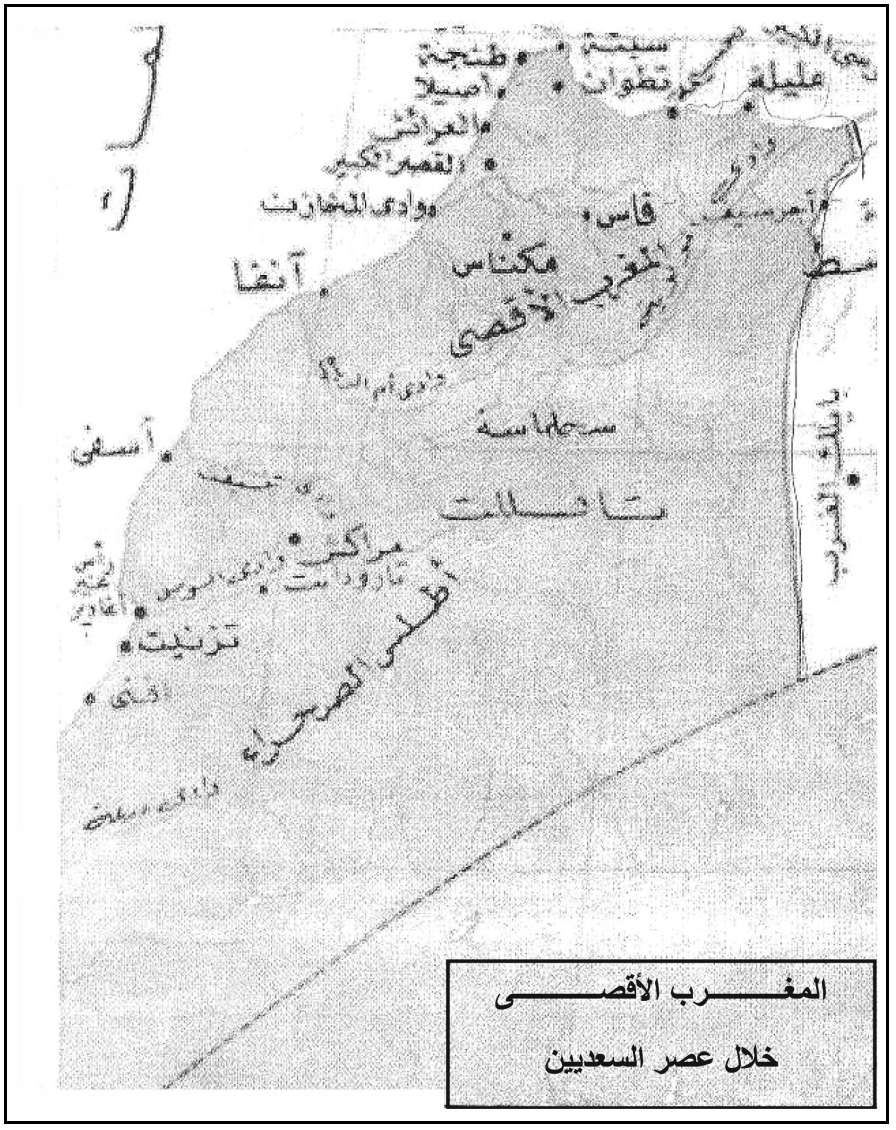

المغـــــرب الأقصـــــى
خلال عصر السعديين

مجلة الحقوق

مجلة فصلية أكاديمية
محكّمة تعنى بنشر البحوث
والدراسات القانونية والشرعية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور/ فيصل عبدالله الكندري

صدر العدد الأول في
يناير ١٩٧٧

الاشتراكات

	في الكويت	في الدول العربية	في الدول الأجنبية
الأفراد	٣ دنانير	٤ دنانير	١٥ دولاراً
المؤسسات	١٥ ديناراً	١٥ ديناراً	٦٠ دولاراً

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي:
مجلة الحقوق - جامعة الكويت ص.ب: ٦٤٩٨٥ الشويخ - ب 70460 الكويت
تلفون: ٢٤٨٣٥٧٨٩ - ٢٤٨٤٧٨١٤ فاكس: ٢٤٨٣١١٤٣
E.mail: jol@ku.edu.kw

عنوان المجلة في شبكة الإنترنت http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/jol

ISSN 1029 - 6069